الأهرام

١٩٨٣/٢/٧

أم كلثـــــــوم والميـــــلاد الثانـــــى

لاتقولوا ذكرى .. انها الميلاد الثانى
فما نسيناها حتى نذكرها
نعم رحلت .. ولكن فى داخل نفوسنا
واصبحنا نسمعك اكثر بحق السنين .. بملء الحنين .. ولما عادت ليالى الخميس تهدهد الشوق .. اه من الشوق كما تقولين .. وما احلى ماتقولين :
وانت بيننا كنا نقول ونحس ان صوتك موهبة السماء .. ماذا بعد ان عاد الصوت العبقرى الى مصدره .. الى عليين .. هل تعلمين ؟
اننا ننتظر شروقه مع الشمس .. فشمس مصر لا تغيب ... وعلى الشرق والمغيب لا تسمع مصر والعرب غيرك .

د . نعمات أحمد فؤاد

لماذا
لانها تكلمت .
وماذا ايضا ؟
لانك لم يبلغ شاوك احد .. وهيهات كما البت بعد الرحيل من السنين .

كانت « المركب » فى مصر القديمة محبة بما وصلت بين المصريين والنيل .. وكانت ام كلثوم فى مصر الحديثة محبة بما وصلت بين المصريين والعرب .

عندما فازت ام كلثوم عام ١٩٦٨ بجائزة الدولة التقديرية ، جاء فى حيثيات الحكم : (ان ام كلثوم قدمت الى الدولة فى جميع المناسبات القومية صورة من تفاعل الفن وتجاوبه مع الاحداث الكبرى . وانها اشاعت التذوق الجمالى عن طريق اللحن والنغم بصوتها الفريد ، الامر الذى فرض نفسه فنيا على جميع المستويات المحلية والعالمية .)

وتنازلت ام كلثوم عن القيمة المادية للجائزة التقديرية وقدرها ٢٥٠٠ جنيه (الفان وخمسمائة جنيه) لصالح صندوق معاشات الفنانين

انها مصرية اما وابا من طيبة هذا الوادى .. هذه الارض الطيبة الفذة الخصوبة التى تطلع نبتا بعد نبت وغلة بعد غلة لا يحتجب عطاؤها ، ولا يضن رفدها ، ولا ينضب لها معين .

فلاحة مصرية من ذلك الطراز الذى صنع نفسه وصنع تاريخنا معه كرفاعة الطهطاوى والعقاد وطه حسين والزيات واحمد امين وامين الخولى والشيخ محمد عبده وسعد زغلول .

كل هؤلاء نبتوا فى الريف وضربت جذورهم فى اعماق تربته فاستمدت منها صفاتها الأصيلة من عطاء موصول ، وخصب موفور ، وقدرة على العطاء والبقاء .

ان منبتهم الريفى امدهم ببطانة الفلاح المصرى على الجلد ، وقدرته على الصبر ، وصبره على الصعب ، وتصوفه فى حب الأرض .

من هذا المعدن النفيس الذى يزخر به منجم مصر ، صاغ الله أم كلثوم فكانت ظاهرة .

استمرارها على امتداد نصف قرن ، نصفها منفردة بسالقمة ، ظاهرة .. اداؤها ظاهرة . وقد اكسب ام كلثوم حفظ القران الكريم فى سن مبكرة ، صقلا فى النطق ، وتلويفا فى اللسان ، وسلامة فى مخارج الحروف من جوفية وحلقية وشفوية كما اكسبها علما بصفات الحروف من حيث الشدة والرخاوة ، والانطباق والانفتاح والقلقلة والتكرير الى آخر وهذا الفن الدقيق .

ان قصيدة النيل كلها تعزز مزية ام كلثوم فى النطق والاداء . هذه القصيدة العصية بمالقاتها على النطق القارىء فما بالك بالغناء ولكن ام كلثوم طلوعتها ثم رقرقتها فى المطلع ثم تهدرت بها فى خفة الفرح بالمهرجان فتألقت كالفيضان الذى يحتفل به صوتها المزغرد فى البيت :

فى مهرجان هزت الدنيا به
اعطافها واختال فيه المشرق

قال لى رياض السنباطى : ان لحن قصيدة النيل نعمة انعم الله بها على ولكن اين كان مكانها لو لم يفيض الله لها صوت ام كلثوم يؤديها ؟

وبعد النطق ، القاء ام كلثوم ظاهرة . وقصيدة حافظ (وقف الخلق ..) مسلة صوتية فيها شموخ « الكلوسيات » الشعرية .

وكم بين (وما نيل المطالب بالتمنى) وبين النداء الراقص فى الاناشيد الاخرى . ويروى لى الشيخ زكريا طرائف فى هذا الباب لا تسعها هذه الصفحة .

على ان المسالة بالنسبة الى ام كلثوم ليست الصوت وحده مع طاقاته ومساحاته ومواهبه . انها عصر من الفن كما قلت فقد كان ابو العلا يعلمها النغم واصوله ، وراسى يعلمها الادب وفنونه والدكتور صبرى النجريدى وداود حسنى وزكريا احمد يدربون صوتها تدريبا فنيا . والقصبجى يدربها على عزف العود حتى اجابته كما حفظت قسطا كبيرا من التواشيح وهى ذخر وذخيرة للمغنى الشرقى الاصيل .

واجتمع لها رواد الفكر والشعر العقاد وطه حسين والمازنى وشوقى وحافظ والبشرى وعلموها بالقراءة والسماع والمجلس والصداقة مالا يتسانى مثله لغيرها على نفس المستوى والقدر والمقدار .

الذى نادى به الدكتور حسين فوزى منذ عام ١٩٥٧ والتدوين الموسيقى والتاليف الموسيقى .. ليعد ولا اقول يبدا المسرح الغنائى فقد شرعت مصر النهضة المسرحية فى مطلع القرن العشرين وباركها طلعت حرب الذى انشا شركة التمثيل العربى وتياترو الحديقة الذى مثلت عليه اوبرات كاملة او اوبرا كوميل مثل (شمشون ودليلة) و(صياد اللؤلؤ) كما حسن سعيد درويش (العشرة الطيبة) و(شهر زاد) .

واليوم وسط ظلام وزحام الغث المنتشر على الكاسيت بلا ضابط منذ السبعينات ، لا افقد ايمانى بمصر التى انشات الاوركسترا السيمفونى والكورال وطرحت فى حقل التاليف الموسيقى اعمالا مشهودة ليس اخرها (حاملات اللؤلؤ) للدكتور جمال عبد الرحيم او جهود (رفعت جرانة) و« عزيز الشوان » وهو امتداد للدكتور ابو بكر خيرت ، وعالم الموسيقى او جندى الموسيقى المجهول احمد خليل مصطفى الفحام .

وتمضى الايام .

وتتعدد المدارس الفنية والاساليب ولكن اغانى ام كلثوم ستظل بطاقاتها المديدة ، وقفراتها الخاصة واسلوبها الفذ المميز ، طابعا متفردا وفريدا فى باب الموسيقى الشرقية لا يتكرر ولا يتناهى ولا يضاهى .. ستبقى لانها تاريخ فى التاريخ .. ولانها فى الحياة علامة وقيمة .. وبعد الحياة تخلد وتراث .. وفى الخالدين عنصا ملحمة امة .

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية